مقدمة عن الرواية السياسية

د.آى خه شيو(*)

الملخص

الروايات السياسية هي روايات تستخدم الشخصيات السياسية الحقيقية كنماذج، والأحداث السياسية الحقيقية كمواد أساسية، بما في ذلك المواضيع السياسية التاريخية، والمواضيع السياسية في المجتمع الحقيقي. ويمكن استخدام الأول كتاريخ غير رسمي، وتاريخ خارجي لتكملة التاريخ الرسمي، بينما يلعب الأخير دورًا في خدمة السياسة الحقيقية. كما أن هناك روايات تستخدم شخصيات وأحداث خيالية للتعبير عن المحتوى الاجتماعي والسياسي لعصر معين، وهي ما تسمى بالروايات السياسية. وسوف يستكشف هذا البحث الفهم التاريخي للروايات السياسية وتطورها في عالم الأدب العربي، ويستكشف المعنى الحقيقي للروايات السياسية.

الكلمات المفتاحية: **الرواية السياسية، الأدب السياسي**

Abstract

Political novels are novels that use real political figures as models and real political events as primary materials, including historical political themes and political themes in real society. The former can be used as unofficial history and external history to complement official history, while the latter plays a role in the service of real politics. There are also novels that use

* آى خه شيو(AI Hexu)، أستاذ مساعد في كلية اللغات الأفروآسيوية وثقافتها في جامعة الدراسات الأجنبية بقوانغدونغ، الصين.(GDUFS,CHINA)، وتخصصه الدقيق: الأدب العربي الحديث، الدراسات العربية.

fictional characters and events to express the social and political content of a particular era, which are called political novels. This research will explore the historical understanding of political novels and their development in the world of Arabic literature, and explore the true meaning of political novels.

Keywords: political novel, political literature

الجزء الأول: لمحة تاريخية عن الرواية السياسية

لقد تعددت التعريفات للرواية السياسية في الأدب العربي ونقده، ففي هذا الجزء نبدأ بذكر هذه التعريفات ثم مناقشتها، والتعقيب عليها، لتعريف الرواية السياسية تعريفًا واضحًا لابد أولاً من توضيح تعريف "الرواية" كمصطلح.

الرواية هي نوع من أنواع سرد القصص، تحتوي على العديد من الشخصيات، لكل منها اختلافاتها وتداخلاتها وانفعالاتها الخاصة. وتعتبر الروايات من أجمل أنواع الأدب النثري. وتمثل النوع الأحدث بين أنواع القصة، والأكثر تطورًا وتغييرًا في الشكل والمضمون بحكم حداثته وما لهُ صِلة بالرواية أو ما يشبهها كفن السيرة وفن المقامة، وإنْ كانا يعدان أساسًا واحدًا من الأسس التي قامت عليها الرواية العربية اليوم؛ لأنّ ما احتواه هذا الفن من قواعد فنية يرجع إلى عهد قريب، حين تعرّف العرب على هذا النوع الأدبي وأصوله مع بداية القرن التاسع عشر، إذ ترجمت كثير من القصص والروايات العالمية من الشرق والغرب.

يجمع نقاد القصة على أن الطول أو الامتداد أو الحجم – وما يفرضه بالتالي من طريقة في التناول – هو المعيار التحكمي أو الافتراضي الذي نلجأ إليه، لتحديد نوعية الأشكال القصصية من: رواية وقصة قصيرة وقصة.[١]

وعرّف طه وادي الرواية بأنها: "تجربة أدبية تصور بالنثر حياة مجموعة من الشخصيات، تتفاعل مجتمعة لتؤلف إطار عالَم متخيل، غير أن هذا العالم المتخيل الذي شكله الكاتب ينبغي أن يكون قريبًا مما يحدث في الواقع الذي يعيش فيه، أي أن حياة الشخصيات في الرواية يجب أن تكون ممكنة الحدوث في واقع الكاتب. والحياة الروائية حياة ممتدة في الزمان إلى حد ما، فقد تمتد إلى سنة أو عدة سنوات. ولا شك أن هذا الامتداد الزمني يؤدي إلى توسع في التصوير. وبالتالي إلى اتساع حجم الرواية، التي تُعد أطول الأشكال القصصية حجمًا".[٢]

ومن المعروف أن النقد الأدبي لا يعرف "سرير بروكرست"(Procrustean bed)[٣]، الذي يستعين بمقاييس مفترضة مسبقًا، أو بمعايير صارمة لا تزيد ولا تنقص. ورغم ذلك فإن أيَّ عمل أدبي تحكمه –بالضرورة– مبادئ وضوابط، تحدِّد طبيعته النوعية، وخصائصه في إطار "الجنس الأدبي" الذي ينتمي إليه، وتحقّق له بالتالي "ماهية" الوجود.

فالرواية في تعريف مبسّط: "تجربة أدبية، يُعبَّر عنها بأسلوب النثر، سردًا وحوارًا، من خلال تصوير حياة مجموعة أفراد (أو شخصيات)، يتحركون في إطار نسق اجتماعي محدد الزمان والمكان، ولها امتداد كمّي معين، يحدِّد كونها رواية".[٤]

والرواية – بحكم حداثتها النسبية في تاريخ الآداب العالمية – لم تعرف في الغالب سوى مذهبين من مذاهب التعبير الأدبي، هما: الرومانسية، والواقعية.

ومن البديهي أن تحديد المذهب الذي ينضوي تحت ظله العمل الأدبي ليس مدحًا له أو قدحًا فيه، وإنما هو تحديد مشروع وتقليد فني جدير بالاعتبار لطبيعة المدرسة التي ينتمي إليها هذا العمل أو ذلك.

كذلك فإن كلّ رواية – بصرف النظر عن المذهب الذي تنتمي إليه – يمكن أن تُقسَّم تقسيمات نوعية، أو تسمىّ تسميات وصفية، تساعد على التصنيف بالنسبة للباحث المتخصص، كما تُسهم في تقريب بعض المفاهيم بالنسبة للقارئ العام.

وفي إطار التقسيمات النوعية التي تُوصف بها الرواية، ترد التسميات التالية:

١– رواية تاريخية.

٢– رواية اجتماعية.

٣– رواية بوليسية.

٤– رواية الخيال العلمي.

٥– رواية عاطفية.

٦– رواية سياسية.

٧– رواية ملحمية.

٨- رواية درامية.

٩- رواية السيرة الذاتية.

١٠- رواية تحليلية (نفسية).

١١- رواية تيار الشعور.

١٢- رواية الأجيال.

١٣- رواية تسجيلية.

١٤- رواية أسطورية (أو فولكلورية).

١٥- رواية الحدث.

١٦- رواية الشخصية.

١٧- رواية فلسفية أو رمزية.

١٨- رواية الأصوات المتعددة: التي يروي أحداثها أكثر من راوٍ.

١٩- مسرواية... (أي رواية تجمع بين خصائص المسرح والرواية في آن واحد).

٢٠- الرواية الجديدة.

٢١- الرواية اللارواية... (رواية الشكل المفتوح)

٢٢- رواية الواقعية السحرية (البدائية)[٥]

أما الرواية السياسية، فهناك بعض النقاد الذين ينقدونها ويبحثون فيها، وأول دراسة أكاديمية للرواية السياسية بدأت في عام ١٩٢٤م مع دراسة موريس أدموند سبيري " Morris Edmund Speare" بعنوان "الرواية السياسية" "The Political Novel"، حيث كتب عن كل من الروايات السياسية الإنجليزية والأمريكية، واهتم بإظهار الاختلافات بينهما وبين الروايات التقليدية، وكذلك وجّه التفاته إلى التشابه بينها، ورأى أن الرواية السياسية نوع أدبي معين، ولها خصائص معينة. وهذه الدراسة التجريبية محاولة أولية في دراسة الرواية السياسية، ولم يشرح الباحث الرواية السياسية في دراسته تفصيليا ومبينا. وهناك تسع محاولات سابقة في تعريف الرواية السياسية، وكلها تركز على محتواها، مما أبرز ضرورة اهتمام هذه "الرواية" بالموضوعات

أو القضايا السياسية وضرورة وجود "مؤشرات أسلوبية"" تربط عالم الرواية بالعالم الخارجي، وأيضا ضرورة امتلاك الروائي لـ"أيديولوجية" يسعي إلى التأثير على القارئ من خلالها، كما تنوعت رؤيتها لطبيعة الأسلوب الروائي ما بين التأكيد على ضرورة الالتزام بالأسلوب المباشر فقط أو إمكانية استخدام "الرمز" أو المزاوجة بينهما.

ومن النقاد الذين عرّفوا الرواية السياسية جوزيف بلونترBlotner في كتابه "الرواية السياسية" "The Political Novel"، الذي نشر سنة ١٩٥٥م، والناقد الأمريكي إيرفنغ هاو Irving Howe في كتابه: "السياسة والرواية" "Politics and the novel"، الذي صدر سنة ١٩٥٧م.

أولا: **جوزيف بلونتر Joseph L.Blotner**

ينطلق بلوتنرBlotner في تعريفاته للرواية السياسية من رؤيته للمجتمع الغربي في قوله: "إذا حصرنا الرواية السياسية في نشاط بعض المؤسسات كالكونجرس أو البرلمان، فهذا يعني أن نراعي بذلك الطابق العلوي للبناء السياسي، ونتجاهل الطابق الرئيس والقاعدة التي تسانده".[٦] وهذه القاعدة التي ينبغي أن تخوض الصراع السياسي هي طبقات المجتمع، خاصة الطبقة العاملة التي ينبغي أن تضطلع بأدوار سياسية أو تتحرك في وسط سياسي.

ونظرًا لديمقراطية المجتمع الغربي، يرفض جوزيف بلوتنر الروايات السياسية التي توظف الأقنعة التراثية والمجازية والتاريخية للتعبير عن القضايا السياسية، بل يفضل الرواية التي تقدم الخطاب السياسي مباشرة. وهكذا يبعد بلوتنر الروايات التي تعالج القضايا السياسية بشكل مجازي أو رمزي.

ولم يخض مغامرة التعريف بشكل إيجابي، وإنما وضح ما يكتنف هذا التعريف من صعوبات، وما قد ينزلق إليه المعرف من محاذير، وهو بذلك يكون قد حدد مفهوم الرواية السياسية بطريقة غير مباشرة، كما أنه عرض لبعض ما يظنه فريق من الباحثين تحديدًا لها، وبيّن ما وقع في هذه المحاولات من قصور.[٧]

ويعني هذا أنه لا ينبغي للرواية السياسية أن تتجاهل طبقة من طبقات المجتمع، فالفن ينبغي

أن يكون لكل الطبقات، ولا ينبغي أن يكون الأدب تجسيدًا لفكر الطبقة الحاكمة فحسب، فكل طبقة لا تعيش منعزلة عن غيرها من الطبقات، وإنما تربطها بمعظم تلك الطبقات شبكة من العلاقات، وعلى هذا فحصر الرواية السياسية في شخصيات من الطبقة الحاكمة، أو في شخصيات من أي طبقة أخرى، لا يقدم للمتلقي أدبًا واقعيًا، يصور المجتمع بصدق، وقد اشترط جوزيف بلوتنر لاشراك الشخصيات التي تنتسب إلى الطبقة العاملة في عمل روائي "ضرورة أن تضطلع تلك الشخصيات بأدوار سياسية أو تتحرك في وسط سياسي".[٨]

ويرى الباحث أن الإنسان ما دام يعيش في مجتمع فهو وسط سياسي بالضرورة، وهذا ينسحب على الطبقة العاملة، وعلى غيرها من الطبقات، كما ينسحب على من يحاولون عزل أنفسهم عن الوسط السياسي؛ لأن ذلك يفسر في أغلب الأحوال على أنه نوع من الرفض، وهو موقف سياسي في النهاية، قد يوصف بأنه سلبي.

ويرى جوزيف بلوتنر "أن نستثنى من التعريف تلك الروايات التي تعالج القضايا السياسية بشكل مجازي أو رمزي، وأن الرواية السياسية هي كتاب يصف مباشرة ويفسر ويحلل ظاهرة سياسية".[٩]

ويرى الباحث أن تفرقة جوزيف بلوتنر بين الرواية التي تصف وتفسر وتحلل بصورة مباشرة ظاهرة سياسية، وبين تلك الرواية التي تعالج القضايا السياسية بشكل مجازي أو رمزي، تفرقة قد يكون لها ما يبررها في الرواية الأوروبية، حيث تنعم مجتمعاتها بنظم سياسية ديموقراطية، لا تحجب رأيًا، ولا تصادر فنًا. ويرى جوزيف بلوتنر أن "هناك أهمية لموضوعات بعينها في الرواية السياسية مثل: الحروب، التي يعتبرها امتدادًا للسياسة، والأعمال المحرضة على الفتنة، وسياسات المجالس النيابية، والموضوعات المتعلقة بالانتخابات....".[١٠]

ويرى الباحث أن حصر الموضوعات التي ينبغي أن تتناولها الرواية السياسية أمر يصعب تحديده، فضلاً عن أنه لا طائل من ورائه. وقد يكون تصنيفها على أساس القضايا أنسب من ذلك، مثل: الديموقراطية، أو العدالة الاجتماعية، أو التحرر الوطني.

ولا بد أن نؤكد على أن الموضوعات في حد ذاتها لا تعني الناقد الحديث في كثير أو قليل، وإنما الذي يعنيه هو المضامين. وهذا لا يعني أن الباحث قد غابت عنه الحقيقة التي يؤكدها "إرنست فيشر" وهي "أن الموضوع يرتقع إلى مستوى المضمون من خلال موقف الفنان وحده؛ لأن المضمون ليس مجرد ما يقدمه الفنان، بل أيضًا كيف يقدمه، في أي سياق، وبأي درجة من الوعي الاجتماعي والفردي. والموضوع مثل "الحصاد" يمكن أن يعالج كأنشودة شجية، أو كلوحة مائية تقليدية، أو كجهد إنساني مرهق، أو كانتصار للإنسان على الطبيعة، فكل شيء يتوقف على وجهة نظر الفنان، وما إذا كان يتحدث باسم الطبقة الحاكمة ومعبرًا عنها، أو كسائح عاطفي يقضي يوم العطلة، أو كفلاح متذمر، أو كثورى اشتراكي"[١١]، ولا بد لكاتب الرواية السياسية أن يكون معايشا للأحداث، ويتمتع برؤية واقعية محنكة بالتجارب والأحداث السياسية.

واشترط جوزيف بلوتنر كي تكون الرواية السياسية "أن يكون كاتبها متصلاً بالأدوار التي تلعبها الشخصيات، وأن يكون معهم على نفس خطوطهم في الحديث، وغاياتهم التي يهدفون إليها، واستراتيجيتهم التي يستخدمونها"[١٢]، وتحتمل عبارة جوزيف بلوتنر "أن يكون كاتبها متصلاً بالأدوار التي تلعبها الشخصيات" تفسيرين، الأول: أن يكون الروائي قد مر بالتجربة، التي يصورها عمله في الواقع، والثاني: أن يكون الروائي متعاطفًا مع شخصياته متحمسًا لقضاياها بحكم انتمائه إلى طبقتها. وإذا كان التفسير الأول صحيحًا، فإن الدراسة لا ترى ضرورة ملحة لأن يكون الروائي قد مرّ بالتجربة، وذلك لأنه يستطيع أن يرى غير المرئي، كما أنه يستطيع أن يجد في موهبته غنى عن ذلك. وإذا كان التفسير الثاني صحيحًا، فيرى الباحث أن الأديب إنسان يعيش في مجتمع له آماله، وأشواقه وعذاباته، فمن البديهي أن يكون الأديب متصلاً بها، ولا بد أن يكون – بالقطع – من طبقة بعينها من طبقات المجتمع، ولكن ليس شرطًا أن يكون متحيدا لآمال طبقته، بل قد يكون العكس صحيحًا في بعض الأحايين.[١٣]

ويرى جورج لوكاتش أن كتّاب الرواية من هذا المنظور يصنفون إلى صنفين: كتّاب كبار من أصحاب المواهب الكبيرة يضحون بمواقفهم الخاصة، ولا يترددون في ترك شخصياتهم تعبر عن

فكرهم ومواقفهم دون تدخل منهم، وأما الصنف الثاني فهو من أصحاب المواهب المتواضعة، يجبرون شخصياتهم على أن تكون نظرتها للحياة منسجمة مع رؤيتهم لها، حتى لو كان ذلك على حساب الخلق الفني، ومهما كان أثره على درجة الصدق في تصوير هذه الشخصيات، بل إنه يقرر أن هذه المسألة تتعلق بأمانة الكاتب ونزاهته. ويقول جورج لوكاتش في ذلك: "هي مشكلة تضرب بعمق في جذور الخلق الفني الواقعي، وتلمس جوهر الواقعية الحقة: الظمأ العظيم للصدق عند الكاتب، النضال بلا مواد من أجل الحقيقة، أو بتعبير يستخدم الألفاظ الأخلاقية، إخلاص الكاتب وأمانته ونزاهته، إن كان واقعيًا عظيمًا".[١٤]

نلحظ مما سبق أن جوزيف بلوتنر قد أحجم عن خوض مغامرة التعريف للرواية السياسية بشكل مباشر، واكتفى بتحديد بعض ما ينبغي أن تخلو منه الرواية السياسية، فرأى أنها ينبغي ألا تركز على طبقة بعينها، وقرر ضرورة أن يكون للشخصيات أدوار سياسية، وأن تكون لها في الرواية حريتها الكاملة في أن تسلك مسلكًا يتفق مع منطق الحياة.[١٥]

ثانياً: إيرفنغ هاو Irving Howe

ويعد الناقد الأمريكي إيفنغ هاو Irving Howe من أهمِّ النقاد المعاصرين الذين تصدوا لبيان علاقة السياسة بالرواية، في كتاب له بعنوان: "السياسة والرواية" " Politics and the Novel"، وقد صدرت منه ثلاث طبعات: الأولى سنة ١٩٥٧م، والثانية ١٩٦٠م، والثالثة ١٩٨٧م. وهو يعرض في مقدمة كتابه طرحًا نظريًا لفكرة السياسة في الرواية، يمكن أن نلخصه فيما يلي:

الرواية السياسية: "هي الرواية التي تلعب فيها الأفكار السياسية الدور الغالب أو التحكمي، بيد أن توضيح كيفية "التحكم" ضرورية؛ لأن كلمة "تحكمي" تحتاج إلى تحديد، وربما كان من أفضل القول بأنها الرواية التي نتحدث عنها لنظهر غلبة أفكار سياسية (political ideas)، أو محيط (milieu) سياسي، إنها رواية تظهر هذا الافتراض بدون وسيلة صعبة لأي تحريف تقدمي، ويتبع ذلك إمكانية كسب بعض تحليل منطقي".[١٦]

فهو يرى أن "الرواية السياسية" هي "الرواية التي تلعب فيها الأفكار السياسية الدور الغالب التحكمي"، ويبدو أن هذا التعريف يركز على وجود الأفكار السياسية مباشرة، فالسياسة هي المحور الذي تحيط به الشخصيات والأحداث. ويضيف إيرفنغ بعض المواضيع التي تتناولها الرواية السياسية إلى جانب ما قاله بلوتنر من حروب وفتن سياسية ومجالس نيابية وانتخابات، ونفهم من تعريف إيرفنغ هاو أن المضمون الرئيس للرواية السياسية قضية سياسية تشكل المحور الذي تتكاتف كل الأدوات الفنية لمناقشته مناقشة تتضح من خلالها رؤية الكاتب للقضية السياسية المطروحة بشكل فني، أما قوله إنها: "تظهر هذا الافتراض دون صعوبة أو تحريف))، فهو ما لا يستطيع الباحث أن يوافقه عليه خشية أن يفهم ذلك على أنه نوع من المباشرة.

ثم نجد أن النقاد العرب الآخرين قد ناقشوا هذا الموضوع أيضًا مثل طه وادي وأحمد مُحَمَّد عطية وإلخ.

ثالثاً: طه وادي

ذكر طه وادي في كتابه "الرواية السياسية" تعريفًا للرواية السياسية، وحدد مفهومه للرواية السياسية بقوله إنها "هي الرواية التي تلعب القضايا والموضوعات السياسية فيها الدور الغالب بشكل صريح أو رمزي. وكاتب الرواية السياسية ليس منتميًا – بالضرورة – إلى حزب من الأحزاب السياسية، لكنه "صاحب أيديولوجية"، يريد أن يُقنع بها قارئه بشكل صريح أو ضمني".[١٧]

وهذا التعريف يقترب من تعريف إيرفنغ هاو، ونلحظ فيه غلبة الدور التي تلعبه القضايا والموضوعات السياسية، بمعنى أنها تشتمل على قضايا أخرى وموضوعات مختلفة، وهذه القضايا من المحتمل أن تتعلق بالموضوعات السياسية. ولكن هذا التعريف لم يبرز بعد غلبة القضايا السياسية، ولم يبن جوهر هذه الموضوعات السياسية وما يميزها عن القضايا الأخرى التي تتألف منها الرواية. ولم يذكر أشكال الرواية السياسية التي تتخذ الموضوعات السياسية بشكل ضمني، أي لم يذكر أدوات الرواية السياسية. ومن المتأكد أنه ينفرد بتصريحه لإمكانية استخدام

الأسلوبين "المباشر" و"الرمزي"، كما ينفرد بالتأكيد على ضرورة أن يكون الروائي صاحب الأيديولوجية يسعى إلى إقناع القارئ بها. ولعله لم يعط تعريفًا كافيًا للرواية السياسية، ولكن الجدير بالذكر أن هذا التعريف هو أن أيديولوجية الروائي لا يمكن أن تظهر داخل الرواية كما هي في وعي الروائي، والأجدى في هذه الحالة أن نستبدل الحديث عن أيديولوجية الروائي بالحديث عن أيديولوجية الرواية، والتي تتجلى من خلال تفاعل عناصرها الفنية كافة.

رابعاً: حمدي حسين

عرّف حمدي حسين الرواية السياسية بأنها "الرواية التي تتعاون فيها كل الأدوات الفنية، لمناقشة قضية سياسية محورية تمثل مضمون الرواية الرئيس، وهدف كاتبها النهائي هو عرض رؤيته المثارة بشكل فني غير مباشر، يتحقق من خلال أسلوب المعالجة".[١٨]

فهذا التعريف لا يختلف كثيرًا عن تعريف طه وادي من حيث حصر البحث في الرواية التي تتناول قضية سياسية محورية، وجعل جميع الأدوات الفنية تخدم القضية، وهذا قد يكون صحيحًا، ولكن في الوقت ذاته يقصر الرواية السياسية على نوع واحد، كما أنه قد جعل للروائي هدفًا وحيدًا وهو عرض رؤيته المثارة، دون أن يناقش خلفية الكاتب ومدى علاقته بالقضية السياسية التي يريد إبرازها.

خامساً: أحمد محمد عطية

لم يعط أحمد مُحَمَّد عطية تعريفًا واضحًا للرواية السياسية في كتابه "الرواية السياسية"، ولكن مع ذلك يمكن اختصار المواصفات الموضوعية من كتابه، فهي عنده الرواية التي تعبر عن "القضايا والأزمات والطموحات السياسية التي تصطرع في الضمير العربي".[١٩]

وعلى المستوى الفني يرى أنها "أداة فنية للوعي يمكن بواسطتها رصد وضع الأمة وتجسيد أزماتها العامة من خلال شخصيتها الروائية الفردية".[٢٠]

فنجد أن هذا التعبير يدور حول موضوعات أو أفكار سياسية محددة، وهو يرى أن القضايا السياسية العامة يندرج تحتها ما لا ينتهي من موضوعات وأفكار سياسية، والتحديد لطبيعة

الرواية السياسية الفنية من خلال التأكيد على ضرورة الاعتماد على تقديمه من خلال الشخصيات. وهذا النقد الذي يرى ضرورة البدء بالتشكيل الفني وصولاً إلى الوعي السياسي أو القضايا السياسية التي يمكن استخلاصها من خلال التعامل النقدي مع التشكيل الفني.

سادساً: صلاح فضل

يحدد صلاح فضل مفهومه للرواية السياسية بقوله: "يمكن أن نعتد في هذا الصدد بفكرة "المؤشر الأسلوبي" لتمييز الرواية السياسية من غيرها، فكلما تعددت الإشارات المباشرة إلى المواقف والأحداث والشخصيات القائمة خارج النص الإبداعي، بأسمائها المعروفة تاريخيًا صبغت العمل تدريجيًا بصبغة سياسية، وهذه الصبغة تصل إلى درجة الاكتمال عندما تصبح إشارات السياسة الخارجية مسؤولة في داخل السياق الروائي ذاته عن مصائر الأشخاص وتحولات الأحداث ودلالتها الأدبية، عندئذ تصبح مؤشرات نصية تقوم بالربط السببي بين منطق الحياة ومنطق العمل الروائي"[٢١].

فمن هذا التعريف نلاحظ أن صلاح فضل لا يركز على الموضوعات أو القضايا أو الأفكار السياسية، كما أنه لا يهتم بأيديولوجية الروائي ورؤيته السياسية، ولكنه حصر البناء الروائي في الحكم على نوعية الرواية، والأهم من ذلك أنه لا يعول على ما أسماه بالمؤشرات الأسلوبية الخارجية إلا عندما تتحول إلى مؤشرات نصية متحكمة في مصائر الأشخاص وتحولات الأحداث.

سابعاً: محمد السيد إسماعيل

حدد محمَّد السيد إسماعيل تعريفًا للرواية السياسية بقوله "هي الرواية التي تستطيع من خلال أيديولوجية تشكيلها الفني آليات ممارسة السلطة في مستوياتها ودوائرها المتعددة والمتداخلة".[٢٢]

فهو يركز في هذا التعريف على السلطة العليا، ويرى أن الرواية السياسية وظيفتها هي الكشف عن السلطات وكيفية ممارستها للسلطة، كما أن لها وظيفة وحيدة هنا هي الدعاية للسلطة بشتى أشكال هذه الدعاية ومختلف مواقعها منها.

ثامناً: سعيد علوش

يرى سعيد علوش أن الرواية السياسية "تقوم على أطروحة الدعوة إلى أفكار سياسية معينة وتفنيد غيرها، مما يفسح المجال أكثر لحوارات تتخذ شكل مجادلات سياسية على حساب التقليل من أهمية العناصر السردية الأخرى. وتنزع هذه الرواية ذات المنحى السياسي نحو نوع من الواقعية القرارية ولا تتميز عن غيرها من الروايات إلا بتأكيدها على الحدث السياسي"، كما أن الرواية التي "يتمكن كاتبها من تقديم رؤيته السياسية كقضية من قضايا الواقع السياسي من خلال معالجة فنية جيدة هي رواية سياسية".[٢٣]

وهذا التعريف يبرز جانبًا هامًا من جوانب الرواية السياسية، أي صراع الأفكار في الرواية، وكونها رواية جدلية تغلب النواحي الفلسفية على السرد، وأشار أيضا إلى التقليل من أهمية العناصر السردية الأخرى بالإضافة إلى المضمون الفكري، وهي الميزة الفنية.

فهي ذلك النوع من الرواية الذي تنفصل فيه الأفكار عن مجرد أعمال المجتمع التي لا يُسأل عنها، والتي وصلت إلى لا شعور الشخصيات بكل مظاهرها العميقة المثيرة للمشاكل، لدرجة أنها تُلاحظ في تصرفاتها. وهذه الشخصيات نفسها دائمًا واعية بانتماء أو تماثل أيديولوجي سياسي متناغم، وهي تفكر على أساس تأييد أو مجابهة المجتمع، وتفعل ذلك باسم – وتحت إلحاح الأيديولوجية.

تاسعاً: علاء الدين سعد جاويش

لقد جمع جاويش بين التعريفات السابقة، وحدد للرواية السياسية تعريفًا خاصًا به، فالرواية السياسية هي رواية عادية من حيث البناء الفني، كما أنها رواية تكشف عن صراع عديد من القوى داخل المجتمع، ولا تبنى على أحادية التناول.

ثم شرح بالتفصيل ما قاله، فهي "رواية أدبية تناقش قضية سياسية (ظاهرة أو خفية)، وهي رواية معقدة، تدعو إلى أيديولوجيات خاصة، وتعادي غيرها من الاتجاهات السياسية في المجتمع، وقد تعادي الحاكم والحكومة، وتحاول طرح رؤية تقدمية للواقع، ولا تخلو من مغامرات فكرية تواكب موضوعها السياسي الساخن، وتقدم بعض آراء مخالفة، ومبادئ معارضة للفكر السائد،

وتأتي غالبًا في إطار المذهب الواقعي، وقد تخرج عن المذهب الواقعي وتأتي في إطار المذهب الرومانسي من خلال الرواية التاريخية التي تتحدث عن وقائع سياسية. وتلعب القضايا والموضوعات السياسية فيها الدور الغالب بشكل صريح أو رمزي، وهي رواية فنية مثل أية رواية مكتملة عناصر التشكيل، وتتضمن وجهة نظر سياسية، تشكل قضية رئيسة فيها، وتضيف إلى وظائفها الفنية وظيفة جديدة، وهي الإقناع الأيديولوجي إزاء قضية سياسية مقدمة بطريقة فنية هادئة. وبطل الرواية السياسية بطل إشكالي يتحرك في إطار قضية أيديولوجية، قد يقدر على حلها، وقد يخفق، والصراع بين التجربة والأيديولوجية لا مهرب منه في الرواية السياسية. وقد تقدم الرؤية فيها بشكل مباشر أو غير مباشر، ولها العديد من الأدوات أهمها الرمز واستلهام التراث والسخرية، وذلك بسبب التضييق على الروائي في البيئات الاستبدادية".[٢٤]

الرواية السياسية – في شكلها المثالي – عمل خاص بالمشاعر الداخلية. ومن أجل أن تكون الرواية رواية – على أي حال – لا بد أن تحتوي على التمثيل المعتاد للسلوك والشعور البشري، وبرغم ذلك لا بد أن تشمل في تيار حركتهم على العناصر الأساسية، التي ربما يكون لها حل في الأيديولوجيا الحديثة.

والأيديولوجيا – على أي حال – مجردة كما يجب أن تكون، لهذا فمن المحتمل أن تكون متمردة على أية محاولة لإدخالها في مجري الانطباع الحسيّ للرواية. والصراع بين التجربة والأيديولوجية لا مهرب منه في رواية سياسية.

"فالروائي السياسي قد يكون عليه– نتيجة لذلك– أن يختار مخاطر أصعب من غيره، وهذا هو ما يحدث لأي فنان، يستخدم كميات كبيرة من موضوع (غير نقي)، بيد أن المكافأة بناءً على ذلك تكون عظيمة. والروائي السياسي– مثل المجادل المتمَرِّس– لا بد أن يكون قادرًا على تناول الأفكار المختلفة، ليراها في علاقاتها البعيدة والمتداخلة من أجل الإمساك بالسبيل الذي تتحول فيه أفكار الرواية إلى شيء مغاير، عما توجد عليه "هذه الأفكار" في برنامج سياسي. فالروائي ليست مهمته التعامل مع الأفكار في نطاقها المجرد، أو أن يمتلك قدرة عامّة على فعل

ذلك. فبمجرد أن توضع هذه الأفكار للعمل داخل الرواية، فإنها لا تبقي طويلاً مجرد تجريد. والرواية السياسية – في أحسن حالاتها – توجد فيها مثل هذه الحرارة الشديدة، حتى إنّ الأفكار التي تقدمها تُصهر في حركتها وتتخلل عواطف شخصياتها. إن وظيفة الروائي السياسي دائمًا هي أن يُظهر العلاقة بين النظرية والتجربة، بين الأيديولوجيا والعواطف والعلاقات التي يحاول أن يقدمها. وعلى هذا فإن الرواية السياسية تستطيع أن تخاطب إحساسنا بالتجربة الإنسانية، كما أنها قادرة– أيضًا– على أن تُقوي ارتباطاتنا وتؤنسنها والرواية السياسية عندما تفعل ذلك، تقوم بمهمة الإقناع، التي ليست هدفها الأصيل أو المميز".[٢٥]

ولذلك ذهب طه وادي إلى أن "العلاقة الجدلية بين الفن والسياسة كانت وستكون حصيلتها الأساسية إغناء الفن بمضامين وموضوعات جديدة، وبنماذج إبداعية مبتكرة، وتقريب فكرة حزبية الفن والإبداع الإنساني عامة. إلا أنه مهما كان هذا التلاحم بين (الفن والسياسة) شديدًا، لا يصحُّ عدم تجاهل ضرورة عزل طابع الفن عن القوالب السياسية اليومية المباشرة".[٢٦]

ولا شك أن الأدب الجيد– بصفة عامة– هو الذي تذوب فيه الرؤية السياسية داخل جزئيات العمل، وتتضافر مع لحمته وسُداه، وتصبح جزءًا عضويًا من نسيجه، وأداة متجانسةً من أدواته.

ويمكننا بعد مناقشة آراء جوزيف بلوتنر وإيرفنغ هاو أن نستخلص تعريفًا للرواية السياسية بأنها "الرواية التي تتعاون فيها كل الأدوات الفنية لمناقشة قضية سياسية محورية تمثل مضمون الرواية الرئيس، وهدفها من خلال أسلوب المعالجة"، و"هذه القضية السياسية (المختارة) ينبغي أن تكون من القضايا الجليلة التي تؤرق الوطن، وتعذب المواطن"[٢٧]، ويشمل ذلك روايات الإسقاط السياسي التي تتوسل بالتاريخ أو الرمز أو التراث، سواء أكانت القضية، موضوع الرواية في متناول تجربة الكاتب الخاصة، أم خارج هذه التجربة، بل ينبغي أن تصور الحركة الديناميكية لهذه الطبقات بشكل يصور طموحاتها جميعًا، وآلامها جميعًا، ولابد للشخصيات التي تمارس السياسية في هذا النوع من الروايات "أن تكون (موهبة) لذلك اجتماعيًا وفكريًا – داخل البناء الروائي – حتى تصبح قادرة على الإقناع الفني بما تقول وتفعل في إطار أحداث

الرواية"[٢٨]، ومن البديهي أن يكون الكاتب في كل هذا مع قوى التقدم، وفي مواجهة قوى التخلف، وينبغي عليه أن يكون مدركًا للفارق بين "وظيفة الدعاية والتحريض عند رجل يمارس العمل السياسي، وبين وظيفة الفن الإنسانية والجمالية عند أديب أصيل ملتزم".[٢٩]

ومما يؤكد أهمية الرواية السياسية أن بعض الدارسين الذين حاولوا تعريف الرواية، وركزوا في تعريفهم على المضمون، أمثال: إرنست بيكر، ودربرييه، يرون أنها "شكل أدبي يقوم مقام المرآة في المجتمع، مادتها إنسان في مجتمع، أحداثها نتيجة لصراع الفرد ضد الآخرين، للملاءمة بينه وبين مجتمعه. وينتج عن هذا الصراع، خروج الفرد بفلسفة ما، أو رؤية عن الإنسانية".[٣٠]

الجزء الثاني: تعريف الرواية السياسية

ورغم أن العديد من النقاد يعتقدون أن الأدب والسياسة هما عالمان منفصلان لا علاقة بينهما، وهو ما يشمل الروايات بالطبع، إلا أنهم يبنون هذه الرؤية على فكرة أن الروايات هي عالم خيالي عاطفيا يركز على العواطف الإنسانية. في الواقع، هناك علاقة وثيقة جدًا بين الأدب والسياسة. كما يرى المفكر والناقد الإنجليزي تيري إيغلتون أن هناك علاقة وثيقة بين الأدب والسياسة وقد يصل الأمر بمكان الى صعوبة فك العلاقة بين الاثنين. وعلى هذا الأساس ظهر مفهوما "تسيُّس الأدب" الذي يتناول تأثير السياسة على الأدب، و"تأديب السياسة"، الذي يُناقش تأثير الأدب على السياسة. كما ناقش إيغلتون في كتابه "نظرية الأدب" العلاقة بين الأدب والآيديولوجيا التي حلت محل الدين بعد عصر النهضة الصناعية حين كان الأدب والفكر من أهم روافده، واستعرض نشوء الأدب الإنجليزي وتطوره، وأوضح إيغلتون الفرق بين الأدب "التخيلي" الذي ساد المرحلة الرومانسية والأدب الذي صبغ المرحلة اللاحقة التي كانت مرحلة ثورات وانتهت إلى تشكل الإمبراطورية الرأسمالية الصناعية وانتزاع الطبقة الوسطى للسلطة السياسية من أيدي الكولونياليين والإقطاعيين. ورافق ذلك أن أصبح الأدب آيديولوجيا، وغدا قوة سياسية رأس مالية. ووجد الكتّاب الرومانسيون أنفسهم شيئا فشيئًا على هامش المجتمع، وتم حرمانهم من تبوُّؤ أي مكانة لائقة ضمن الحركات الاجتماعية التي استطاعت أن تحول الرأس مالية الصناعية إلى مجتمع جديد.

بناء على ما سبق، حاول الباحث وضع تعريف مبسط للرواية السياسية: الرواية السياسية هي أحد أنواع الرواية التي تتعامل مع القضايا السياسية أو الشؤون السياسية، وهي غالبًا ما تستخدم السرد لتقديم التعليق على الأحداث وعلى النظم السياسية والحياة السياسية بصفة عامة، وعلى النظرية السياسية بصفة خاصة. وتتميز الرواية السياسية أنها تكشف الفساد السياسي القائم داخل المجتمع سواء بطريق مباشر وعن طريق الرمز، وتحاول وضع تصور للواقع المأمول الذي يتمناه المبدع لمجتمعه، وتقدم الواقع المخير والواقع الخيالي للقارئ.

وتنقسم الرواية السياسية إلى نوعين رئيسين: النوع الأول الرواية السياسية المباشرة، والنوع الثاني رواية التخييل السياسي.

ويمكن التمييز نقديا بين الرواية السياسية والتخييل السياسي، فإذا كانت الرواية السياسية تقدم الأحداث كما هي في الواقع بطريقة مباشرة، أو عبر المرآة الجدلية لتصوير فظاعة هذا الواقع ومأساويته باستعمال أسلوب سردي تقريري يقترب من أسلوب الأطروحة الشعرية أو أسلوب الروايات الأيديولوجية الحرفية ذات البرامج السياسية لقراءة الواقع الراهن المتردي على جميع المستويات، فإن التخييل السياسي يتعامل مع المادة السياسية من خلال الأقنعة الرمزية والاستعارية، أي بطريقة غير مباشرة متكئا في ذلك على التاريخ واستنطاق التراث والموروث الشعبي وصيغه اللغوية والأسلوبية، مستهدفا بذلك الحوارية والإسقاط والتماثل بين الماضي والحاضر. ويعني هذا أن التخييل السياسي يتعامل مع الموروث الإنساني بصفة عامة، والعربي بصفة خاصة، بطريقة سياسية مقنعة تارة أو مباشرة تارة أخرى، يتجادل فيها الحاضر مع الماضي. ويكون إعمال التخييل السياسي في إطار المحتمل والممكن، وذلك لملء الفراغات الكثيرة في النص السياسي الموروث. كما أن لوحات التخييل السياسي متداخلة وأوعية متواصلة توحي كلها بأزمنة متقاطعة وليس بزمن واحد محدد كما هو الشأن في الرواية السياسية التي تصور الظاهر والسطحي والمباشر. فالتخييل السياسي يرصد الممكن والمحتمل والباطن واللاشعور السياسي وأمراضه وعقده السيكولوجية وانعكاسات كل ذلك على شخصيات الرواية من خلال صيغ أسلوبية، كالمقارنة والمعارضة والسخرية والباروديا والمحاكاة الساخرة.

ويستند التخييل السياسي إلى التوهيم، ومخادعة المتلقي، وكسر أفق توقعه وانتظاره، وتضليله بصدق المعطى، وتشويق القارئ بحقيقته الواقعية، لتدارك تعذر الخبر، أو عجز الروائي عنه وتزيين الحكاية المروية.[٣١]

الخاتمة

لا شك أن تعريف الرواية السياسية أمر صعب؛ لأنه إذا كانت السياسة هي قانون الحكم الاجتماعي الشامل، والذي تشمل سلوكيات وأنظمة محددة، بالإضافة إلى المفاهيم والثقافة المقابلة، فإن كل شيء تقريبًا في الحياة الواقعية يرتبط بالسياسة. ومع ذلك، من منظور "التصنيف"، لا يمكننا تجنب الفهم التقليدي لـ"الرواية السياسية". لذلك، فـ"الرواية السياسية" هي مفهوم ديناميكي تاريخي، وتعد الرواية السياسية في القرن الجديد جزءًا مهمًا من الأدب "الموضوعي" المعاصر، حيث تركز على القضايا الحساسة للحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في التحول الاجتماعي. كما تجسد الروايات السياسية الاهتمامات المشتركة للحكومة والشعب. فهي لا تتوافق فقط مع احتياجات الدعاية الأيديولوجية السائدة، ولكنها مفضلة من قبل عامة الناس. لذلك، يجب أن يركز اتجاهنا البحثي المستقبلي أكثر على دراسة سياسة الأدب والقضايا الساخنة في الروايات السياسية.

الهوامش

١ طه وادي، دراسات في نقد الرواية، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٤، ص ١٧.

٢ طه وادي، دراسات في نقد الرواية، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٤، ص ١٧.

٣يشير مصطلح مغالطة سرير بروكرست إلى فرض الرأي بالقوة علي المستمعين عن طريق قولبة الأفكار، كما يطلق عليها لفظ البروكرستية وتعبر عن أي نزعة إلى «فرض قوالب» جبرية على الاشياء (الاشخاص أو الافكار..) أو ليّ الحقائق أو تشويه المعطيات، وأن نفرض حقيقة ثم نبحث عما يدعمها، ونفسر المعطيات بما يطابق افتراضاتنا، لكي تتناسب قسراً مع مخطط ذهني مسبق.

٤ طه وادي، دراسات في نقد الرواية، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٤، ص ١٩

٥ طه وادي، الرواية السياسية، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ٥٨

٦ حمدي حسين، الرؤية السياسية في الرواية الواقعية في مصر ١٩٦٥ – ١٩٧٥،، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ١٩.

٧ حمدي حسين، الرؤية السياسية في الرواية الواقعية في مصر ١٩٦٥ – ١٩٧٥،، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ١٩.

٨ حمدي حسين، الرؤية السياسية في الرواية الواقعية في مصر ١٩٦٥ – ١٩٧٥،، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ١٩.

٩ حمدي حسين، الرؤية السياسية في الرواية الواقعية في مصر ١٩٦٥ – ١٩٧٥،، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ٢٠.

١٠ حمدي حسين، الرؤية السياسية في الرواية الواقعية في مصر ١٩٦٥ – ١٩٧٥،، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ٢١.

١١ إرنست فيشر، ضرورة الفن، ترجمة أسعد حليم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦ م، ص ١٧٣.

١٢ حمدي حسين، الرؤية السياسية في الرواية الواقعية في مصر ١٩٦٥ – ١٩٧٥، مرجع سابق، ص ٢١.

١٣ حمدي حسين، الرؤية السياسية في الرواية الواقعية في مصر ١٩٦٥ – ١٩٧٥، مرجع سابق، ص ٢١.

١٤ جورج لوكاتش، دراسات في الواقعية الأوروبية، ترجمة أمير إسكندر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٢، ص ٣٣.

١٥ حمدي حسين، الرؤية السياسية في الرواية الواقعية في مصر ١٩٦٥ – ١٩٧٥، مرجع سابق، ص ٢٣.

١٦ طه وادي، دراسات في نقد الرواية، ص ٢٢٥.

١٧ طه وادي، الرواية السياسية، ص ٦.

١٨ حمدي حسين، الرؤية السياسية في الرواية الواقعية في مصر١٩٦٥ – ١٩٧٥م ، ص ٢٤.
١٩ أحمد محمد عطية، الرواية السياسية: دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية، مكتبة مدبولي، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ١٢.
٢٠ أحمد محمد عطية، الرواية السياسية: دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية، مكتبة مدبولي، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ١٧.
٢١ صلاح فضل، أساليب السرد في الرواية العربية، دار سعاد الصباح، الكويت، ١٩٩٢، ص ١٨.
٢٢ محمد السيد إسماعيل، الرواية السياسية: مفهومها وظواهرها الموضوعية والفنية من ١٩٦٣ – ١٩٩٣م، رسالة دكتوراه غير منشورة، دار العلوم جامعة القاهرة، ٢٠٠٢م، ص٣٢.
٢٣ سعيد علوش، المصطلحات الأدبية المعاصرة، المكتبة الجامعية، الدار البيضاء، ١٩٨٤، ص ٦٠.
٢٤ علاء الدين سعد جاويش، الاتجاه السياسي في الرواية، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ٢٠١١م، ص١٩.
٢٥ طه وادي، الرواية السياسية، مرجع سابق، ص٥٠.
٢٦ طه وادي، الرواية السياسية، مرجع سابق، ص ٥٢.
٢٧ طه وادي، السياسة والفن في الرواية العربية المعاصرة، مجلة كلية الآداب – جامعة القاهرة، العدد ١، المجلد ٥٠ مايو، ١٩٩٠م، ص ٥٣.
٢٨ طه وادي، السياسة والفن في الرواية العربية المعاصرة، مجلة كلية الآداب – جامعة القاهرة، العدد ١، المجلد ٥٠ مايو، ١٩٩٠م، ص ٨٠.
٢٩ طه وادي، السياسة والفن في الرواية العربية المعاصرة، مجلة كلية الآداب – جامعة القاهرة، العدد ١، المجلد ٥٠ مايو، ١٩٩٠م، ص ٨٠.
٣٠ سيد حامد النساج، بانوراما الرواية العربية الحديثة، مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٨٥م، ص ١٦.
٣١ جميل حمداوي، الرواية السياسية والتخييل السياسي، موقع ديوان العرب، شبكة المعلومات الدولية، ١١ آذار (مارس) ٢٠٠٧. https://www.diwanalarab.com/الرواية-السياسية

المصادر والمراجع

١. طه وادي، دراسات في نقد الرواية، دار المعارف، الطبعة الثالثة، ١٩٩٤.
٢. حمدي حسين، الرؤية السياسية في الرواية الواقعية في مصر ١٩٦٥ – ١٩٧٥،، الناشر مكتبة الآداب، ١٩٩٣م.
٣. إرنست فيشر، ضرورة الفن، ترجمة أسعد، حليم الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.
٤. جورج لوكاتش، دراسات في الواقعية الأوروبية، ترجمة أمير إسكندر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢م.
٥. أحمد مُحَمَّد عطية، الرواية السياسية.دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية، مكتبة مدبولي، سنة النشر غير معروفة.
٦. صلاح فضل، أساليب السرد في الرواية العربية، دار سعاد الصباح، ١٩٩٢م.
٧. مُحَمَّد السيد إسماعيل، الرواية السياسية: مفهومها وظواهرها الموضوعية والفنية من ١٩٦٣ – ١٩٩٣م، رسالة الدكتوراه، دار العلوم جامعة القاهرة، ٢٠٠٢م.
٨. سعيد علوش، المصطلحات الأدبية المعاصرة، المكتبة الجامعية، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.
٩.علاء الدين سعد جاويش، الاتجاه السياسي في الرواية، مؤسسة حورس العربية، ٢٠١١م.
١٠. سيد حامد النساج، بانوراما الرواية العربية الحديثة، مكتبة غريب، سنة ١٩٨٥م.
١١. جميل حمداوي، الرواية السياسية والتخييل السياسي، موقع منبر حر للثقافة والفكر والأدب، شبكة المعلومات الدولية، ١١ آذار (مارس) ٢٠٠٧.
12. Joseph Blotner, The political novel, Good Press, 2022.
13. Stuart A. Scheingold, The Political Novel: Re-Imagining the Twentieth Century, Bloomsbury Publishing USA, 2010.
14. Robert Boyers, Atrocity and Amnesia: The Political Novel since 1945, Oxford University Press, 1987.
15. Joseph Blotner, The Modern American Political Novel: 1900-1960, University of Texas Press, 2014.
16. Catherine Vance Yeh, The Chinese Political Novel: Migration of a World Genre, BRILL, 2020.